



Minarete de la mezquita Al-Mansoura. Telemcen

منارة جامع منصور بولاية تلمسان

## شعب جميل.. لا يعرف المستحيل

بالطبع.. عمت الأفراح الجزائر.. فقد لقنوا المستعمر - آنذاك - درساً لن ينساه أبداً. وتوارث الأجيال الجزائرية هذا الحدث التاريخي والذي كان - وما يزال - يعكس العزة والأصالة والكرامة وشموخ العقيدة الإسلامية ←

وحجاب الرأس؟! وخول بذلك الانتصار الفرنسي في لحظة إلى انتصار جزائري إسلامي مدوي. وهنا انهال الإعلاميون بطرح العديد من الأسئلة على الحاكم الفرنسي للجزائر آنذاك عن تفسيره وتعقيبه على ما حدث، فأجاب بمرارة وحسرة: "وماذا عسانا أن نفعل.. إذا كان الإسلام أقوى من فرنسا؟!".

يحكى أنه في الخمس الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، أي بعد مرور قرابة نصف قرن من الزمان على بداية الإحتلال الفرنسي لأرض الجزائر وسيطرته على مقدراته، وحيث تملك المستعمر - آنذاك - غرور الأقوياء، قرر فجأة خوض تجربة تربية وإعلامية ليثبت من ورائها تحدياً مفاده أنه من الممكن فرض ثقافة مغايرة لثقافة وعقيدة جذور النشأة عن طريق الرعاية الثقافية وحث إغراء المال، فماذا فعل المستعمر الفرنسي آنذاك؟ قام المحتلون باختيار عشر أسر جزائرية من مختلف الطبقات، وانفق مثلهم مع تلك الأسر على رعاية طفلة من كل منها رعاية كاملة في فرنسا من الحضانه وحتى التخرج من الجامعة، تعشن وتنشأن وتترعرعن هؤلاء الطفلات العشرة على مدار سنوات طويلة في جو فرنسي خالص، تتشبعن خلالها بالثقافة الفرنسية والعادات والتقاليد الفرنسية، بعيداً عن التأثيرات العقائدية الدينية، خصوصاً الإسلامية منها، وبالفعل تمت التجربة على مدار أعوام طويلة حتى تخرجن الفتيات العشرة من الجامعة.

إلى هنا والجانب التربوي والثقافي من التجربة الفرنسية قد تم، وأن أوام جني المستعمر لثمرة تلك التجربة الفريدة من خلال النشأ الثاني منها، ألا وهو النشأ الإعلامي، فقد أقام الفرنسيون حفلاً كبيراً دعوا إليه كبار المسؤولين والإعلاميين والعديد من الضيوف الأوربيين وغير الأوربيين لاستعراض الفتيات العشرة اللاتي جرى فرنستهن ومحو هويتهم الجزائرية والدينية الإسلامية، وجلس الضيوف والمسؤولون والمدعوون الذين اكتظت بهم قاعة الاحتفالات الكبرى في حالة ترقب وشغف مثيرة حتى جاءت اللحظة المهيبة والمتمثلة في ظهور الفتيات العشرة بطلات تجريرة الفرنسية، وساد القاعة صمت رهيب حين نودي عليهن للدخول والاصطفاف على خشبة المسرح أمام الحضور، تصاحبهن موسيقى مثيرة مناسبة للحظة العرض ونشوة انتصار المستعمر، وكانت الصدمة المدوية.. حيث اصطفت الفتيات على خشبة المسرح إلى جوار بعضهن في ظلام دامس معد مسبقاً، ومرت لحظات الظلام على الحضور وكأنها دهور، وفجأة.. أضيئت أنوار المسرح البهيرة المسلطة على موقع اصطفاف الفتيات على خشبته، لتنعقد المفاجأة السنة الجميع، حيث فوجئ الحضور بالفتيات العشرة واقفات شامخات وهن مرتديات الزي الإسلامي الكامل.. الجلباب الطويل



Vista general de Constantina

مشهد عام بولاية قسنطينة

نسبة إلى مؤسسها أو المؤسس من أجله. فالتجمعات المغاربية التي تبدأ تسميتها بكلمة "سيدي" عددها كبير وهو أمر غير مألوف بالشرق. وتأتي بلدة سيدي عقبة بشمال صحراء الجزائر والتابعة لولاية بسكرة خير مثال حي على ذلك. حيث يوجد أحد أهم مزار إسلامي بالولاية والمتمثل في مسجد الفاخ عقبة بن نافع الفهري (رض) والمسجى جثمانه الطاهر في ضريح يتوسط نفس المسجد. وحسب رواية إمام المسجد لنا أن هذا المسجد والمنطقة المحيطة به تعد رابع أقدس بقعة في العالم الإسلامي بعد المسجد الحرام والمسجد الأقصى والحرم النبوي الشريف طبعاً لما ذكره بن خلدون. حيث يضم ثراها جثمان الشهيد الفاخ سيدي عقبة بن نافع وثلاثمائة شهيد مسلم مجاهد هم قوام الجزء الذي عرج به من جيشه إلى تلك المنطقة بعد أن صرف الجزء الآخر إلى القيروان أثناء حملته لفتح أفريقيا ودمج المغرب العربي الكبير في الدولة العربية والإسلامية. وقد تميزت فتوحات عقبة بن نافع الفهري بأنها جرت في المناطق الداخلية للمغرب التي لم يطردها قبله الفاطميين. وحيث واجهته حصون عظيمة استرجعها البربر واعتنوا بها بعد ما تركها الروم والبيزنطيون. وقد وصل الفاخ عقبة بن نافع إلى الجزائر في العام 63 هجرية حيث أجه نحو مدينة طولقة وقام بفتح المدينة وحول كنيستها البيزنطية إلى مسجد ما زال موجوداً حتى الآن ويحمل اسم "المسجد العتيق" نسبة إلى قدم تاريخ إنشائه. وقد ذكر لنا إمام هذا المسجد الصغير - من حيث المساحة - أثناء زيارتنا له أنه من الثابت تاريخياً أن الفاخ عقبة بن نافع قد أدى ثلاث صلوات جمعة على الأقل بهذا المسجد والذي يعد من أهم

شكر" (!) وحين يستغرق في النوم كان يقول: "كنت في نومة سابعة" (!). وحين يحقق هدفين يتصرف واحد كان يقول: "ضربت حجراً بعصفورين" (!). كانت تلك هي بداياته اللغوية معنا. أما ختامه فقد كان مسكاً. حيث أصبح يضرب عصفورين بحجر واحد. ويروح في سابع نومة. و ولا شكر على واجب!.. وبذلك فقد غادرنا الجزائر والسيد ياسة قد أصبح حواراً باللغة العربية معنا أكثر سلاسة ويسراً.. بل ورائعاً. ما أسهم بشكل مباشر في إخراج رحلتنا إلى الجزائر. وأخر كلمة شكر وجهناها له آمليين أن نلتقي به في المستقبل كانت: "ميرسي بوكو.. أبيانوو.. أريفوار". على كل حال.. فقد استمتعنا بشعب جميل.. أصوله وركائزه الإسلامية واضحة وجميلة. عاشق لأرضه وعزتها. يحمل تناقضاً إيجابياً مفاده أنه شعب عنيد قوي الإرادة على الرغم من أن طبيئته هي من أهم سماته. وقد كشفت لنا زيارتنا الميدانية لمواقع السياحة الدينية بالجزائر خلفية أصالة هذا الشعب وتمسكه بالعقيدة الإسلامية والتي ثبت أن جذورها قوية وضاربة في أعماق الزمن.

### مساجد وأضرحة ولاية بسكرة

تميزت مدن دول المغرب العربي عن مثيلاتها بالشرق العربي بكونها ذات نشأة محدثة. فلم يثبت إقامة تلك المدن على بقايا مدن قديمة إلا فيما ندر. حيث اعتمدت في نشأتها على ما أتى به الفاطميين العرب والخصائص المحلية البربرية (نسبة إلى قبائل البربر). وعلى الرغم من اتفاق أغلب مدن المغرب والشرق في كون نواتها الأولى ذات أهمية دينية تعتمد على الأضرحة والمساجد. إلا أن العديد من مدن المغرب العربي قد تضررت بتسمياتها

ورسوخها لدى جل أفراد الشعب الجزائري المسلم. وأخذت جموع الجزائريين على مدى فترات النضال من أجل التحرير والتي ضحى خلالها الجزائر بأكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء ترد: نحن لا نرضى بالتجنيس.. ولا نتردي فرنسيس.. وكل من يبغى اعوجاجاً.. نقاومه كإبليس..

وعلى الرغم من النشوة التي انتابني وأنا أستمع لتلك الأبيات الشعرية الشعبية أثناء زيارتي لإحدى المناطق الجبلية في ولاية "تيزي وزو" بالجزائر. إلا أن لساني قد سبق كياستي حين علقت على تلك الأبيات متسائلاً: "لا ترضوا بالتجنيس.. ولا تتردوا فرنسيس.. ولكن.. تتحدثون فرنسيس؟!"

وهنا لكزني زميلي سليمان قناوي الذي رافقني في هذه المهمة الصحفية. ثم بدا عليه - وعلى أيضاً - الارتياح.. حين لاحظنا أن جموع الجزائريين الذين كانوا ملتفين حولنا للترحيب بنا والحوار معنا. لم ينتبهوا لزلّة لساني هذه والتي كان يقف وراءها حب وحسرة. فالجب.. لهذا الشعب الجزائري كان قد ولد وتكون وثما بسرعة مذهلة خلال زيارتي لهذا البلد الجميل رغم قصرها. والحسرة.. فهي على انتشار التعامل باللغة الفرنسية. كالنار في الهشيم على حساب اللغة العربية بين سواد الشعب الجزائري الذي أحببت. ومن يخلص في حبه يبغى الكمال في محبوبه. ولكن طالما استمرت الحياة وجد الأمل. فهناك من يحاولون تغليب عروبة اللسان بالجزائر على فرنسيته. وكان مرافقنا "ياسة عبد الناصر" خير مثال حي على ذلك. فقد بدأ لقائه معنا مردداً حين نشكره على أي خدمة يقدمها لنا قائلاً: "لا واجب على



La Mezquita Antigua en Tizi Ouzou

المسجد العتيق بولاية تيزي وزو

تفقد وفد "السياحة الإسلامية" مسجد عبد الكريم الجزائري بولاية قسنطينة الذي يعد أضخم مساجد الجزائر حيث يستوعب عشرة آلاف مصلي من الرجال وثلاثة آلاف من النساء داخل المسجد علاوة على الساحة المكشوفة خارجه والتي تتسع لأداء 27 ألف مصلي. وذكر لنا الإمام الشاب لهذا المسجد بأن معظم صلوات الجمعة والعيدين بمسجد عبد الكريم يؤديها أربعون ألف مصلي الذين يشغلون سعة المسجد الكلية بالداخل والخارج. وأضاف بأن أحد كبار المهندسين المعماريين المصريين قد صمم هذا المسجد وزخرفته بعد قراءته للتاريخ الإسلامي بالجزائر فأدخل وأظهر الحقب التاريخية والإسلامية المتعاقبة ضمن زخرفته. وقد استغرق إنجاز تشييد هذا المسجد 17 سنة بسبب إلحاق فكرة إنشاء جامعة إسلامية تابعة له ومقابلة لموقعه تدرس المواد الإسلامية على غرار جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة. وتم افتتاحها عام 1992.

### وآلاف المساجد معقل البربر

وعند زيارتنا لولاية "تيزي وزو" معقل قبائل البربر فوجدنا بأن أهالي تلك الولاية الجبلية معظمهم من ذوي

أهم المراكز العلمية بالمنطقة. كما يعد هذا المسجد من المعالم التاريخية الهامة بشرق البلاد حيث إنه مزين بالرخام والنقوش الإسلامية الرائعة. وقد تم تشييد المسجد والمركز العلمي التابع له عام 1147 هجرية (1734 ميلادية). وتعود تسمية خنقة سيدي ناجي إلى أن "الخنقة" هي إسم جغرافي يعني الفج أو المضيق بين جبلين. أما سيدي ناجي فهو جد سيدي المبارك بن قاسم الذي أسمى تلك المنطقة على اسمه تبركاً به. وتضيف السيدة صابرينة بأن ولاية بيسكرة تضم مساجد وأضرحة أخرى مثل أضرحة سيدي زرزور وسيدي عبد الرزاق وزوايا أولاد جلال ومسجد عبد الرحمن الأخذري وغيرها.

### وصروح إسلامية في قسنطينة

وفي ولاية قسنطينة الشهيرة بجسورها الرائعة والتي تعد من المعجزات الهندسية في عالم الجسور التي تربط بين الجبال فوق الوديان. زينا "دار الإمام" وهي مدرسة قديمة تم تحديثها. مهمتها الأساسية إعداد الأئمة للمساجد. ومن المعروف أن الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين كان من أهم الدارسين بها. كما

الآثار الإسلامية في الجزائر وأقدمها. من ناحية أخرى.. تعد "الزاوية العثمانية" التي أسسها الشيخ علي بن عمر العثماني من أهم الزوايا بولاية بيسكرة التي تضطلع بمهمة تحفيظ القرآن بكامله من خلال تقديم إعاشة كاملة للأطفال والفتيان من عمر ثماني إلى ثماني عشرة سنة. وقد شاهدنا غرف الدراسة مكنتة بالدارسين. والذين انفضوا عنها عند رفع أذان الصلاة التي أداها جميعهم بالمسجد التابع للزاوية. وقد ذكر لنا أحد شيوخ الزاوية بأنها تشتهر أيضاً بمكتبة ذات مقتنيات إسلامية نادرة من أهمها مخطوطة تعود إلى القرن التاسع الميلادي. من ناحية أخرى فقد ذكرت لنا السيدة صابرينة حريش باش مديرة السياحة في ولاية بيسكرة. بأن الولاية تزخر بمواقع ومزارات إسلامية متعددة من أهمها مسجد سيدي خالد بن سنان العبسي على بعد مائة كيلومتر جنوب غرب مقر الولاية وبالتحديد في بلدية واحة سيدي خالد. ومسجد سيدي المبارك المعروف باسمي الجامع الكبير وجامع الجمعة والذي يعد من أهم المراكز العلمية بمنطقة خنقة سيدي ناجي الواقعة على بعد مائة كيلو متر شرق مقر ولاية بيسكرة والذي يعد من



Mezquita de Sidi Baloua en Tizi Ouzou

مسجد سيدي بالوا بولاية تيزي وزو

يمثل منزلاً أو مقراً لتلك السيدة المبروكة. ونزولاً من هضبة لالة سيدي مررنا بقربة أو منطقة تدعى "المنصورة" حيث شاهدنا مئذنة مسجد المنصورة ذات الطراز المتفرد التي تشبه الجرادلة في إشبيلية بالأندلس. وهذه المئذنة ذات الأربع واجهات والتي تسمى "برج حسان" هي بالفعل تشبه البرج ويبلغ ارتفاعها 38 متراً وتتألف من مدخل ذي أطر غائرة متعاقبة تشمل بعض اللوحات نقشت عليها كتابات تذكارية يعلوها إطار بديع كبير مكسو ببعض أجزاء الصفائح المطلية التي كانت ترصع واجهاتها الأربع. كما شاهدنا بمدينة المنصورة التي أسسها السلطان المريني أبو يعقوب سنة 1299 ميلادية بعض من آثار لأجزاء من سورها الضخم الذي كان يحيط بها إبان تشييد المدينة.

ثم تأتي زيارتنا لمتحف سيدي أبو الحسن (أو بلحسن) التنسي والذي يعد متحفاً لتلمسان بمقتنياته الرائعة. وكذلك زيارتنا للجامع الكبير بوسط مدينة تلمسان مسكاً لختم زيارتنا للجزائر من حيث الجزئية التي تخص السياحة الدينية لهذا البلد الرائع. حيث شاهدنا محراب المسجد الكبير ذا النقوش الإسلامية البديعة والمتفردة تتقدمها قبة متعددة الزوايا. وكذلك ←

"السياحة الإسلامية" أثناء زيارته لولاية "تيزي وزو" زاوية عبد الله بن حسان بقربة آيت بو يحيى والتي يطلق عليها زاوية "سيدي حسان" والتي تضم مسجداً وضريحاً لسيدي حسان. ومركزاً لتحفيظ القرآن وتدریس المواد الدينية.

### وأخرى.. في وهران وتلمسان

وقد حفلت زيارة وفد "السياحة الإسلامية" إلى ولايتي وهران وتلمسان بمشاهدة أمثلة متعددة لما تزخر به الولايتان من مساجد وزوايا وأضرحة. ففي وهران شاهدنا مسجد وضريح سيدي الهواري. كما تفقدنا النخبة المعمارية الإسلامية المتمثلة في مسجد الباشا.

أما في ولاية تلمسان. فقد صعدنا إحدى الهضاب الغابية وكانت تدعى هضبة "لالة سيدي" والتي حمل هذا الاسم نسبة إلى سيدة عراقية فاضلة كانت تدعى "لالة" أتت من بغداد واستقرت فوق تلك الهضبة. حيث كانت تأتي إليها السيدات الجزائريات من تلمسان وضواحيها ويصعدن الجبل حتى يصلن إليها لتلقي العلم على يديها والتبرك بها. وأثناء زيارتنا إلى "لالة سيدي" لم نلاحظ وجود أي أثر لبناء معين كان

البشرة البيضاء على العكس ما يعتقد الكثيرون. وتشتهر هذه الولاية بلغتها الخاصة والتي تدعى "اللغة الأمازيغية". وإن كانوا يتحدثون اللغتين العربية والفرنسية. وقد صرح لنا مدير السياحة في تيزي وزو بأن اسم الولاية مكون من لفظين أمازيغيين. فكلمة "تيزي" تعني "هضبة" وكلمة "وزو" هي اسم نبات شوكي أصفر تشتهر المنطقة بنموه في هضباتها ما يعني أن "تيزي وزو" تعني "هضبة نبات وزو الشوكي الأصفر". وأضاف السيد ربيع مدروح أن الولاية تضم 1400 قرية تزخر كل منها بعدد 1 إلى 5 مساجد. وهذا يعني أنها تزخر بأكثر من حوالي خمسة آلاف مسجد. وأثناء زيارتنا لمسجد "سيدي بالوا" فوق قمة أحد الجبال الشاهقة في ولاية تيزي وزو. ذكر لنا إمام المسجد بأن تسميته بسيدي "بالوا" هي تحريف لكلمة "أبو اللواء" نسبة إلى مؤسسها سيدي أبو اللواء أحمد بن عثمان بن محمد عبد القادر الجليلي. وأن تسمية أبو اللواء نفسها قد أطلقها والده عليه حين راه لأول مرة يوم ولد وذراعه الأيمن مرتفع إلى أعلى فتوقع له أن يحمل لواء الإسلام حين يكبر. وقد صدق حدس الأب. حيث أصبح أبو اللواء في كبره يفصل في النزاعات بين القبائل ويعدل بينهم. من ناحية أخرى فقد تفقد وفد





El minarete de la mezquita  
Al-Mansoura, Telemcen

منارة جامع منصور  
ولاية تلمسان



El minarete de la mezquita  
Al-Mansoura, Telemcen

منارة جامع منصور  
ولاية تلمسان

إتمام زيارة وفد "السياحة الإسلامية" للجزائر خلال شهر رمضان المعظم ذكياً للغاية، أسهم في تجميعنا لمادة إعلامية صحفية شاملة أسفرت عن تحقيقنا الصحفي المصور هذا عن بعض أوجه السياحة الإسلامية للجزائر، ومشاهدتنا لكيفية احتفال الشعب الجزائري بشهر رمضان، وكذلك السياحة والمقامات السياحية عموماً في ست ولايات زرتها بالجزائر، أجرينا خلالها عشرات اللقاءات والحوارات مع المسؤولين والمواطنين. كل هذا له مقامات أخرى في أعداد قادمة بإذن الله حين نستعرض من زوايا مختلفة.. السياحة بالجزائر. ■

السياحة محمد الصغير قارة، هذا الرجل الذي لم يهدأ نشاطه منذ توليه دفة السياحة بالجزائر ما بين المشاركة في المعارض الدولية بالخارج أو إقامة الصالونات السياحية بالجزائر، علاوة على اهتمامه بالجانب الإعلامي والدعائي للسياحة الجزائرية والذي لا يقل عن اهتمامه الحثيث بإنشاء البنية التحتية للسياحة بكافة المدن من فنادق ومطاعم ومنشآت سياحية على اختلاف مشاربها وتشجيع الاستثمار العربي والأجنبي وكذلك تشجيع مشاركة القطاع الخاص بالدولة في مجال السياحة. وقد كان اختيار عبد العالي طير مدير عام الديوان الوطني للسياحة لتوقيت

شاهدنا صحناً بنافورة للوضوء، وصومعة يرتفع منها صوت المؤذن منادياً للصلاة. كما شمل مسك ختام زيارتنا إلى تلمسان مشاهدة ليلية لقبه سيدي أبي مدين وضريحه وصحن المسجد المرعب الجذاب بأروقته ذات الأعمدة الرخامية التي تعلوها تيجان تم جلبها من مسجد المنصورة.

### سياحة الجزائر.. يقودها الخبراء

وتشهد الجزائر حالياً نهضة سياحية مدوية تدعمها الدولة وجميع القطاعات التابعة لها. وقد تمت زيارة وفد "السياحة الإسلامية" إلى الجزائر بدعوة من وزير